شبكة الطريق إلى الله
طريقك نحو معرفة الله
Way2allah.com

اسم المادة: مقتطفات من سورة ق ٣

من سلسلة: آيات تتلى

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى اللّه

اسم المادة: مقتطفات من سورة ق ٣
من سلسلة: آيات تتلى
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم
رابط المادة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، أهلاً بكم في الحلقة الثالثة والأخيرة بإذن الله –سبحانه وتعالى– من وقفات مع سورة ق، ضمن برنامج آيات تتلى، للآيات التي نكثر من سماعها أو تتلى علينا أو الإنسان بيقرأها بمفرده، ضمن سلسلة حلقات بفضل الله كانت في الأعوام السابقة مع مجموعة من الأفاضل، وانتهينا بفضل الله من مجموعة من السور، وكما قلت لكم هذا العام مع الشيخ عمرو في سورة السجدة، ومعكم في سورة ق بإذن الله –سبحانه وتعالى–.

حلقة اليوم هي الختام للأجواء اللي عشنا فيها في الحلقتين اللي فاتوا، إزاي القرآن بفضل الله –سبحانه وتعالى– وبقدرته، لأن القرآن كلام الله –سبحانه وتعالى–، فهذا القرآن أحاط بالنفس البشرية، "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" الملك:١٤، الله –سبحانه وتعالى– هو الذي خلق هذه النفس والله –سبحانه وتعالى– هو الذي تكلم بهذا الكلام، فالله –سبحانه وتعالى– يعلم نقاط الضعف والتأثير في الإنسان، ولذلك ابتكار مناهج دعوية خارجة عن طريقة –مش لازم ألفاظ القرآن– خارجة عن طريقة القرآن هي نوع من –وبيعجبني قوي التعبير ده للسكران– نوع من تطويل الطريق انت بتطول على نفسك الطريق، في حين إنه بيظن إن ده نوع من تقصير الطريق، بيظن طريقة القرآن أقل أثراً وأبعد طريقةً، لكن لا، القرآن كلام الله –سبحانه وتعالى– بيحيط بالنفس البشرية.

نبدأ في المقطع الأخير وزي ما قلت لكم كان شيء عجيب جداً إن الصفحة اللي قبل الأخيرة دي من أول وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ في الحلقة اللي فاتت انت ممكن كأنك تتجاوزها، يعني لو واحد غلط وقلب الصفحة يحس إن دي أقحمت عشان تنزع الإنسان من الواقع اللي كان فيه، واقع بقى التخطيط والطعن في الدين ونزعته، وزي ما قلت لكم أخدته لآخر الطريق، يعني خدت الكافر ده ومشيت به لآخر الطريق رحلة الموت اللي كان بيهرب منه، وبعد كده الحساب والصاعقة وإزاي إنه يتجمع مع أصحابه، وإزاي إنه خوطب بمفرده، وإزاي الملك بيشهد عليه، وإزاي الشيطان، وإزاي بيلقى في النار، وإزاي اللي بعده كمان هيجي يتحاسب، وإزاي بقى منظر الحسرة اللي بتصيب الكافر لما بيشوف المؤمنين، المؤمنين المستضعفين اللي كان بيتريق عليهم ويستهزئ بهم، إزاي بيخشوا الجنة، وإزاي ربنا –سبحانه وتعالى– بيكرمهم. وبعد كده نرجع تاني، ونقلة غريبة يعني، أنا كنت يعني عايزك تعيش مع الآيات، انت ماشي كده ماشي ماشي، وبعد كده فجأة، وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ نقلة تانية أشبه بالنقلة اللي كانت قبل "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ" "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ"، وَكَمْ أَهْلَكْنَا يعني كأن ربنا –سبحانه وتعالى– يا جماعة ودي من المعاني المبثوثة في القرآن الله غنيٌ عن عباده، "أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ" فاطر:١٥، بلاش نتصور والإنسان يظن أن الله –سبحانه وتعالى– يحتاج إلى عبادتنا لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيدٍ واحد، وسألوا الله وأعطى الله –سبحانه وتعالى– كل واحدٍ

مسألته، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، ولو أننا أولنا وآخرنا وإنسنا وجننا أطعنا الله أو عصينا الله لم ينقص ذلك من ملك الله شيئاً، فربنا بيقول لهم يعني بلاش الإنسان يتخيل إنه بيمتلك بعض الأدوات أو الأسباب الدنيوية إنه ممكن يكون له حاجة عند ربنا أبداً، وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ كتير أوي، هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا، زي ما قلت لكم إن كل قوم بلغوا من العتو والتمرد إن بيظن إن هو ما ربنا قال بالتعبير القرآني العجيب "وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا" يونس:٢٤، إحساس السيطرة على الأرض، إحساس التملك، إحساس إنه قادر، لذلك التعبير اللي جه في سورة ق تعبير يعني أنا متهيأ لي من فرائد السورة ما شفتوش في أي صورة تانية، أنا محتاج أراجع لكن ما شفتوش في سورة تانية، فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ، وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هؤلاء الناس الذين أهلكهم الله كانوا أشد منهم بطشا، يعني كانوا أقوى من قريش، كانوا أقوى مادياً وأقوى بدنياً وجسدياً وامتلاك للثروة، كانوا أقوى منكم، أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ بعض الناس فهم إن فنقبوا في البلاد أثناء الإهلاك، يعني لما جه الهلاك طلع يهرب يدور على ملجأ فلم يجد ما ينفعه من عذاب الله، وده الأقل اللي اختار القول ده أو يعني قول موجود وده هيبقى يشبه بالظبط بما فعله ابن نوح، حينما قال "سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ"، جاء العذاب بيدور على أي مهرب قال "سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ" هود:٤٣، فهنا لحظة الهلاك نقبوا في البلاد بحثاً عن ملجأٍ يعصمهم من عذاب الله –سبحانه وتعالى–، لما بينزل العذاب لن يجدوا من يصرف عنهم العذاب، وقيل هؤلاء القوم الذين أهلكهم الله كانوا قبل نزول العذاب نقبوا في البلاد، يعني إيه نقبوا في البلاد؟ تجد أقوال كتيرة جداً، قال لك نقبوا بمعنى أثاروا الأرض وعمروها، وقيل سيطروا على الجبال وعملوا فيها بيوت وينحتونها يعني قمة السيطرة على الأرض إنك تنقب فيها وتخرج ثرواتها وتخرج كنوزها وتكون عندك القدرة حتى على التحكم في الجبال، إنك تزلل الطرق وتعمل بيوت في الجبال، والإنسان لما بيوصل للمرحلة دي بيشعر بنوع من إن هو من القدرة والسيطرة على الأرض.

فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ، فربنا بيقول لهم وماذا بعد أن نقبتم في البلاد؟ وماذا بعد أن سيطرتم على الأرض؟ وماذا بعد أن أخرجتم كنوزها؟ وماذا بعد أن أرسلت مكوك فضائي للمريخ؟ وماذا بعد أول قدم وقفت على سطح القمر، خلينا نفترض إن ده حصل، وماذا بعد أن اخترعت الطيارات ماذا بعد؟ إيه اللي هيحصل يعني؟ سيأتي الموت، "أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ" الشعراء٢٠٥:٢٠٦، إيه اللي حصل يعني؟ "مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ" الشعراء:٢٠٧، فالآية دي مهمة قوي للخطاب الطغياني المادي اللي فيه العالم اليوم، إيه اللي هيحصل؟ فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ، جبت آخرك من التنقيب والبحث وإثارة الأرض وطلعت كنوزها وقمة الرفاهية؟ هَلْ مِن مَّحِيصٍ يعني هل ستجد محيص نفس فكرة تحيد بس الحيص وحاص الفعل فيه قوة أكتر من حاد، يعني الحيد عن الموت وإنه بيحيص عن الموت يحيص أكتر فزعاً، هَلْ مِن مَّحِيصٍ هل وجدت ملجأً من الموت؟ الموت بيقهر كل الناس، الكل سيموت، حتى ملك الموت سيموت، ولن يبقى إلا الله –سبحانه وتعالى–، الواحد الأحد –سبحانه وتعالى–، ففي الآخر، هَلْ مِن مَّحِيصٍ هل نفعتكم هذه الكنوز؟ هل نفعتكم هذه الدنيا؟ عايزك تعيش المشهد واختيار اللفظ، نقبوا وقاعد يحفر بيحفر يحفر ويهرب، ويحفر عشان الرفاهية وعشان يهرب من الموت، وفجأة يأتيه الموت فيموت، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ويعيش بقى الدورة الصفحة اللي قبلها، هَلْ مِن مَّحِيصٍ فكلمة نقبوا في البلاد بتفسر المجهود المبذول من الطغيان المادي الموجود الآن، لن ينفعكم شيء، بيجي فيروس قد كده كل الاقتصاد يتوقف ويبدأ يلف حوالين نفسه، ويبدأ يشعر إنه خرج من الأزمة، ويبدأ يقول لك عالم ما بعد كورونا، وإزاي يعني احنا استطعنا ومش عارف وإزاي واجهنا، ثم يأتيه بلاء آخر، يخليهم يلفوا حوالين نفسهم، وهكذا إلى أن تقوم القيامة، إلى أن تسقط كل هذه الحضارات، المشكلة يا جماعة إن احنا بنعيش اللحظة، يعني إيه بنعيش اللحظة؟ مشكلتنا إن احنا لما نيجي نشوف التطور؛ الشرق الكفار الملاحدة أو الغرب الكفار من أهل الكتاب اللي بيحاربوا الإسلام ونشوف التطور المادي اللي عندهم احنا بيصيبنا حالة فزع وإزاي الإسلام ممكن ينتصر، ولما نقرأ مثلاً عن انتصار الإسلام في آخر الزمان نقعد عقولنا تقعد تقول طب يا ترى إزاي ومعقول ده هيحصل إزاي؟ احنا عايشين بس للحظة، القرآن بيرفعك بس كده فوق، كأن زووم أوت كده وتبص، قراءة القرآن والتاريخ من أكتر الحاجات اللي بتساعدك على الاطمئنان، أن الله قادر على كل شيء، ياما أقوام كانت أشد بطشاً، لذلك اللي بيعيش لحظة خروج قارون

على قومه في زينته بينبهر، يقول لك إيه ده؟ مستحيل إن الزينة دي تهلك، فلما خسف به قال لك فعلا كان معهم حق، احنا مشكلتنا إن انت ممكن تعيش اللحظة وتشوف التطور المادي اللي هم فيه، فتنكسر، وتقول إيه ده؟ الإسلام هينتشر إزاي؟ وتفقد الثقة في منهجك، وتفقد الثقة مش بس في منهجك، للأسف قد تفقد الثقة حتى في فطرتك، قد تعاند الفطرة، انبهاراً لهذه المادة للأسف، لكن القرآن بيخليك واثق، هَلْ مِن مَّحِيصٍ هل سينفعهم ذلك من عذاب الله؟ أبداً.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ إن في ذلك ما جاء في السورة أو في ذلك في إهلاك الله للأمم السابقة التي أبقى أثرهم بيننا، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لكن لمين؟ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ، دي من الآيات المحورية في سورة ق والمحورية في القرآن، الذي سيستفيد من القرآن صاحب القلب الحي، اللي قلبه فيه حياة، واحد يقول لك طب أنا دلوقتي خلي واحد يعني –والعياذ بالله– يقول أنا قلبي ميت، أنا أشعر بقسوة القلب، مش هاستفيد من القرآن؟ لأ، فيه أمل بالمجاهدة، خد بالك بقى من التعبير القرآني، احنا دايماً لما نيجي نقول إيه؟ وكيفية التدبر وطرق التدبر وفوائد التدبر وتلاقي كتب عن التدبر ونحط مش عارف إيه؟ القرآن جاب لفظ محوري، قال أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ، ألقى السمع كأن السمع ده أصبح فارغاً مفرغاً تماماً للقرآن، يعني أنا مش ماعدتش محتاج أسمع أي حاجة غير القرآن، يعني أنا هشيل السمع؟ تخيل التعبير القرآني اللي بيجسد السمع، هو طبعاً التعبير عربي مشهور إن هو ينصت يعني، أنا مش بتكلم على أصله اللغوي، باتكلم على الإيحاء التجسيدي اللي بيعطيه هذا اللفظ، أَلْقَى السَّمْعَ يعني واحد عارف زي ما يكون مثلاً واحد يقول لي أنا عايزك في موضوع، خد يا عم وداني اتفضل، أنا مش هسمع غيرك، فتخيل حينما يقرأ عليك القرآن، لذلك لما مصعب بن عمير كان يروح المدينة وكان أسيد بن حضير لأول مرة قال اقرأ علي، لما كانوا يسمعوا القرآن كانوا يسلموا، لذلك المشركين قال لك طب نعمل إيه؟ نعمل إيه؟ نعمل حاجة من اتنين، نوزع قطن عشان الناس ما تسمعش القرآن، يعملوا بقى الجمعيات الخيرية على مداخل مكة، ويوزعوا الكرسف (القطن)، ويقول له إياك تسمع القرآن، ويلغوش "لا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ –واللي مش هيستمع النصيحة احنا هنقدم له وسائل مساعدة– وَالْغَوْا فِيهِ" فصلت:٢٦، يعني مجرد الإنصات منهم للقرآن كان بيتغلغل في القلوب، فإما أن يؤمن أو يجحد يعني يعترف إن هو كافر، وعارف إنه رافض الحق، وعارف إنه بيخالف الفطرة، فبالتالي أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ويحاول أن يشاهد ما يسمعه، يعني يحاول أن يدخل داخل النص القرآني، وَهُوَ شَهِيدٌ، زي ما بنحاول نعمل كده في سورة ق، أن تشاهد الأحداث، إنك جزء من النص القرآني إنك واقف بجوار أم موسى وهي خايفة عليه وبترميه في اليم، واقف بجوار سيدنا موسى وهو بيقول "رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ" الأعراف:١٤٣، واقف بجوار موسى وهو بيلقي عصاه، والسحرة وكيف التقمت، عايش المشاهد القرآنية، إنك بتعيش المشاهد، القرآن لما يسافر بك للجنة تروح معاه، أنا يسمعك صرخات أهل النار تروح معاه، لما يطوف بك في ملكوت الله تروح معاه، لما ينتزعك من هذه اللحظة الزمنية إلى لحظة خلق آدم تكون معاه، أن تدور مع النص القرآني، أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وتحاول أن تشاهد النص القرآني بإذن الله ستتأثر، لذلك كان فيه كلمة رائعة لمجاهد في تفسير الآية قال لا يحدث نفسه بغير القرآن، عارف لما بتكون مشغول تقوم عامل إيه؟ تقوم قافل موبايلك وعامل مود الطيران تفصل عن كل حاجة، عشان تركز، القرآن عايز منك كده، وده يا جماعة أهم حاجة في الورد القرآني، أنا بالنسبة لي يقول لك الكم والكيف، أنا لا يهمني لا الكم ولا الكيف؟ أنا يهمني الحضور، حالة التركيز، مش الفراغ الوقتي، أنا مش عايز وقت، أنا عايز الفراغ النفسي، لحظات، لحظات الفراغ النفسي، التي تتلقى فيها الوحي هي أعظم لحظات التغيير في حياتك، لحظات إن يعني العقل مليء بالشتات، انت قاعد دماغك دي عامل زي بكرة الخيط اللي داخلة في بعضها، مشاكل الشغل ومشاكل العيال والبيت والسفر والشغل والماديات والمستقبل حياتك كده، لما بتستطيع إنك تفصل ويتغلغل النص القرآني جواك وتعيش المشهد القرآني، أنت الآن في علاقة مع عالم الغيب، انت بتستمد الزاد، دي أخطر لحظات حياتك، لحظات الفراغ النفسي لتلقي معاني الوحي، لو وفقت لذلك بفضل الله تتغير مع القرآن. لذلك احنا لما كنا بنقول في إنه القرآن إيه هي رسالة إنه القرآن؟ هي كسر الحواجز بين الناس والقرآن، ليه؟ إيه الفكرة كلها؟ إن أنا ما لي؟ أنا عايزك انت النص ياخدك وينطلق بيك، يعني لذلك لما النبي –صلى الله عليه وسلم– مات فقام الصديق يقول

لهم "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ" آل عمران:١٤٤، القرآن بيربطك بالنص مش بالشخص، فلازم تدور مع النص القرآني، انت لازم يكون لك علاقة خاصة مع النص القرآني، لازم يكون لك قلب حي أو تلقي السمع للوحي وتحاول أن تشاهد مشاهد النص القرآني. وَهُوَ شَهِيدٌ.

وبعد كده ربنا بيقول: وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ الذين ينكرون قدرة الله على البعث وعلى إهلاك السابقين الذي خلق السماوات والأرض بما فيهما من مخلوقات عظيمة وترتيب وإتقان وإبداع ورعاية ونسق، كل ده، وما مسه من لغوب، أليس ذلك بقادر على أن يخلقكم مرةً أخرى؟ وعلى أن يهلككم؟ وحتى بيستدل بالقول ده بيقول إن كلمة "وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ" الأحقاف:٣٣، عدم إن الله –سبحانه وتعالى– لم يتعب من خلق السموات والأرض جت في سورة الأحقاف جت مع إعادة الخلق، ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يخلق مثلهم. يبقى إذاً إن الآية دي إما أن اصبر يا محمد على ما يقولون، فلقد آذوا الله –سبحانه وتعالى– وتكلموا على الله –سبحانه وتعالى–، فبالتالي ربنا –سبحانه وتعالى– يقول ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم، يتصبر النبي –صلى الله عليه وسلم– بهذه الآية، أو أن الله قادر الذي خلق السماوات والأرض، وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ النفي في القرآن عجيب جداً يعني شوف هنا ربنا –سبحانه وتعالى– بيقول إيه؟ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ، أيضاً في ختام سورة الشمس يقول الله –سبحانه وتعالى– وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا، يعني عارف الآيات بتقول لك إيه؟ يفعل ما يشاء، يهلك هؤلاء، يعني أما واحد –ولله المثل الأعلى– عايز يهلك قومه، طب لو قتلتهم، طب ممكن يعملوا فيا إيه؟ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا، طب واحد عايز يعمل حاجة كبيرة جداً، طب ممكن يتعب بعدها؟ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ، طلاقة المشيئة، يعني يحكم لا معقب لحكمه، النفي في القرآن حتى في صفات الله –سبحانه وتعالى– بديع، "لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ".

يعني شوف إزاي القرآن بيتكلم عن الله –سبحانه وتعالى– وفعلاً طريقة القرآن مختلفة تماماً عن طريقة المتكلمين في الكلام عن الإله طريقة القرآن فريدة في الكلام عن التوحيد وعن قدرة الله –سبحانه وتعالى– المطلقة.

وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ في الآخر الختام بقى الفاء اللي في الآخر بقى الفصيحة اللي هتنهي بقى الكلام في الآخر، احنا قلنا في الأول خالص بدأوا بقول، القول ده بيهدم في صلب العقيدة الإسلامية، يعني هم قالوا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ، وبيستهزأوا، فربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ، طب أعمل إيه؟ طب يعني التوجيهات للداعية، أنا دلوقتي لو افترضنا مثلاً أنا عايز أعمل في الدعوة وفيه خطاب إعلامي كافر بيسخر وبيتعجب من العقيدة الدينية أنا أعمل إيه؟ أول حاجة يكون عندي خطاب مقابل قوي اللي قدمته السورة، تاني حاجة لابد أن تتحلى بصفات معينة حتى تستطيع أن تكمل، إيه هي؟ الصبر والزاد، لازم تتصبر، لازم يكون عندك زاد، اللي هي في قول الله –سبحانه وتعالى–: "وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ" البقرة:٤٥، هنا برضه كده، فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ، جمهور المفسرين قال سبح هنا بمعنى الصلاة، وقيل سبح بمعنى التسبيح العادي وهتكلم دلوقتي، فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ، لابد أن يصبر الداعية، الصبر حبس النفس، لازم يا جماعة الإنسان يتعلم أن يصبر، الدعوة فيها صبر، الدعوة تحتاج إلى صبر، العجلة، خلق الهلع، وخلق العجلة، لا يناسب الداعية، يعني تخيل لو تعجل المسلمون في صلح الحديبية، تخيل سهم واحد كان ممكن يفسد كل الخطة الدعوية، فأحياناً التعجل بيفسد الدعوة، فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ، طيب النفس عشان تصبر محتاجة زاد، وهكذا خلق الله –سبحانه وتعالى– النفس؛ تتشوف إلى طعام، تحتاج إلى طعام حتى تصبر، وسبح بحمده، يعني تسبح وتحمد، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ، المسلم مع الكون علاقة جميلة أوي، وكأن المسلم بيرقب حركة الشمس، وكما أن الشمس تسبح وتسجد تحت العرش هو كذلك يسبح ويسجد، وقلبه تحت العرش، وكما أن المؤمن يعلم أن هذه الحركة ستتوقف في يومٍ من الأيام وتجمع الشمس والقمر هو يرقب وينتظر

هذه اللحظات، هو يعلم أن هذه الحركات التي يقوم ويصلي ويرقب الشمس ويصلي عند هذه العلامات التي وضعها الله، تخيل أن المسلم بيتصور كده إن من حكم حركة الشمس مواعيد الصلاة تخيل قيمة الصلاة والتسبيح عند المؤمن إن حركة الشمس بالنسبة له بيستفيد منها مواعيد الصلاة والأهلة ومواعيد العبادات، "قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ" البقرة:١٨٩، انت متخيل علاقة المسلم مع الكون إزاي؟ الكل بيسبح بحمد الله –سبحانه وتعالى–، والتسبيح تحديداً دايماً في أوقات الأزمات الإنسان بيحتاج إلى تسبيح، ليه؟ التسبيح تنزيه الله عن كل نقص، في هذه اللحظات تأتي وساوس الشيطان ويقول لك أين الله؟ لماذا يتركنا الله؟ لماذا لا ينصر الله –سبحانه وتعالى– المسلمين؟ تخيل انت في مكة شوف بلال بيُعَذَّب، وخباب على ظهره الصخور، وعمار ليطعن قد تأتيك وساوس الشيطان في هذه اللحظات تحتاج أن تنزه الله –سبحانه وتعالى– عن نقص، بل تحتاج أن تثني عليه، أثني على ربنا؟ في أوقات الأزمات؟ هكذا كان النبي –صلى الله عليه وسلم– بعد هزيمة أحد قال: استووا، حتى أثني على ربي، وظل يثني على الله –سبحانه وتعالى–، أجمل حاجة أن تثني على الله في وقت البلاء، لأنك تثني على ذاته –سبحانه وتعالى–، وأنت واثق في أفعاله –سبحانه وتعالى– حتى لو لم تظهر لك الحكمة، دي من أعلى العبادات، لذلك لما جاء أعرابي للنبي –صلى الله عليه وسلم– وقال دلني ما هو أفضل الإيمان، أو دلني على عمل صالح، جاي بقى أعرابي بقى إيه جاي سخن، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– إيمانٌ بالله وملائكته وأن تجاهد في سبيل الله وحجٌ مبرور، جهاد وحج!، فقال له لا عايز حاجة تانية، مفيش حاجة تانية؟ فقال لين الكلام وأن تكون سمح في الأخلاق، أنا أعرابي، مفيش حاجة تانية؟ فقال الأعرابي للنبي –صلى الله عليه وسلم– أكثرت علي قل لي كلمة واحدة، قل لي كلمة واحدة، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم– فاذهب فلا تتهم الله على نفسك، يعني إيه لا تتهم الله على نفسك؟ في رواية تانية لا تتهم الله على قضائه، ودي أظهر، هتتهم اللي على نفسك؟ انت لما بيحصل لك مصيبة بتقول إيه؟ إنا لله، أسلمت نفسي إليك، طالما سلمتها لربنا، ليه بتتهمه؟ وليه بتقول له عملت فيها ليه كده؟ وليه ما عملت فيها كده؟ مش انت سلمت نفسك لله؟ "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ" التوبة:١١١، مش انت سلمتهاله؟ ليه بقى قاعد عملت فيا ليه كده؟ عارف –ولله المثل الأعلى– تدي مثلاً عربيتك لواحد، انت ليه عملت فيها كذا؟ خلاص يبقى إنت مش واثق فيه، ولله المثل الأعلى، فحينما تسلم نفسك لله تستريح ولا تتهم الله على قضائه أبداً، وأن توقن أن فيه حكمة حتى لو لم تراها، هذا زاد؛ تسبيح الله –سبحانه وتعالى–، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ، أن تنزه الله –سبحانه وتعالى– وكل أفعال الله وتحمد الله –سبحانه وتعالى–. وده وقت استضعاف وشدة في سورة ق.

شوف اصبر، سبح قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، ومن الليل فسبحه وأدبار السجود، واستمع، اصبر، وسبح ما شئت، واستمع، هل استمع هنا استعداد؟ يعني إيه؟ أنا قعدت أفكر واقرأ كلام المفسرين، يعني إيه وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ؟ أنا بحس في نهاية السورة هنا زي سورة الأعراف، سورة الأعراف بدأت "فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ" الأعراف:٢ من القرآن، آخر السورة انت قاعد بتنصت للقرآن وخلاص سيبك بقى من كلام الكفار والشبهات، مش بس ماعدش في صدرك حرج، انت قاعد بتنصت للقرآن "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا" الأعراف:٢٠٤، هنا بيطعنوا في البعث، انت في آخر السورة قاعد منتظر البعث اللي هم بيطعنوا فيه، وَاسْتَمِعْ وتخيل لو الآية دي بتخاطب الجاحد وتقول له وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ مكانا وزمانا، الصاعقة وكأنها بجوار أذنك، وفجأة تموت. الحاجة اللي بينكرها الجاحد أنا الآن في ختام السورة، أنا بنهي الجولة خلاص، أنا طوفت به وكلمته عن الحقائق وأقنعته، واتكلمت بالأدلة قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ وبالأدلة الكونية وطوفت به في الدار الآخرة، وأثبت له قدرة ربنا في هلاك الأمم السابقة، والآن أنا بأنهي الجولة خلاص وبقول له وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ اللي هم بينكروها، يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ –إيه– بِالْحَقِّ، تالت مرة، بِالْحَقِّ اللي هم أنكروه في أول السورة، ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ الذي أنكروه.

الله يتكلم بضمير العظمة إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا انت هتشوف المشهد ده الذي ينكرونه ويقولوا صعب وإزاي؟ ذلك حشرٌ علينا أنا فعلاً والله ضحكت وأنا بقرأ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ، يعني القرآن مش بس بيثبت الحقيقة، القرآن بيتكلم على إنها أمر واقع سيحدث وهين، الموضوع بسيط، ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ، ما تنشغلش بهم، المسلم لما بيشيل قدرة ربنا من المعركة بينهزم، لما بيستحضر أنه جند من جنود الله في المعركة بيصبر، ربنا معانا في المعركة، احنا من جنود ربنا في المعركة، نَحْنُ أَعْلَمُ انت جندي، بلاش تتصور انك انت قائد المعركة، بلاش تتصور إن الدين واقف عليك، لا لا لا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ، أمال أنا إيه دوري؟ يعني بلاش كلامهم يخليك تبحث عن نفق في الأرض أو سلماً في السماء عشان تقنعهم وتأتيهم بآيات لا لا لا، انت ملزم بكتاب الله –سبحانه وتعالى–، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، طب أنا إيه وظيفتي كداعية؟ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ، طب يا رب هم مش عايزين القرآن، دا أنا رحت أكلمهم بالقرآن، قالوا لنا اعملوا لنا برنامج سخرية عشان نقبل وضحكونا الأول ومش عارف إيه وغير لنا القرآن ده ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ، القرآن صادم أوي، ما تجيبوا لنا حاجة تانية، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ، طب يا رب أنا جيت أكلمهم بالقرآن مش مقتنعين وقالوا لنا، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ، الانشغال بالبحث عن نفق الأرض أو سلم في السماء زي ما ربنا قال في سورة الأنعام هيطول عليك الطريق وفي الآخر اللي بيخاف والمتقي واللي هيؤمن هو اللي هيؤمن، يعني بلاش يا جماعة نطول على نفسنا الطريق، بلاش الدعاة يطولوا على نفسهم وعلى من وراءهم الطريق.

الخطاب القرآني له محاور وله مركزيات وله طرق، انت مش لازم تقوله هو نصاً، وإن كان النبي –صلى الله عليه وسلم– قال سورة ق، والنبي –صلى الله عليه وسلم– دعا بالسنة، لكن فيه معاني قرآنية لابد أن تصل، التخلي نزع المعاني القرآنية من الخطاب ده خطاب منزوع الدسم، ده خطاب أجوف، ده خطاب مش محكم، ده خطاب لن يصل بالناس إلى دينهم، إلى ربهم، تخيل داعية لا يخوف الناس بالدار الآخرة، تخيل داعية لا يتكلم عن قدرة الله –سبحانه وتعالى–، أمال رايح يكلم الناس عن إيه؟ لذلك كنا اتكلمنا في أول سورة نوح إيه هي خصائص الداعية؟ وهي خصائص خطاب الدعوة، بحيث الإنسان ما يحصلوش لأن الناس تضغط عليه، هو في الأول كل هدفه، أمنية الداعية إيه؟ أمنية الداعية إنه يصل إلى الناس، "إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ" الحج:٥٢، الشيطان بيجي لك يجي للداعية اللي عايز يوصل للناس يقول له انت عايز توصل للناس؟ طيب، اسمع كلامي، الشيطان قايل له أنا وصلت لناس؟ اه أنا وصلت لناس كتير، الداعية للشيطان انت وصلت للناس إزاي؟ عملت لهم كذا وضحكتهم وروقت عليهم وكذا اعمل كذا، فيكون ده هدفه الأول عشان يقول خطاب الدعوة، فيروح فناس كتير تسمعه وناس تتبسط وتضحك، ييجي يكلمهم في الدين الناس تتقفل يخاف، لا احنا ما على هذا تابعناك، احنا مشينا وراك عشان المسلم الناجح في الدنيا وعشان الضحك فخلاص كمل بقى كده، كل ما يجي يروح للدين الناس ترفض فيخاف، فيبعد يبتعد يفاجأ إن هو ما بيتكلمش في الدين أصلاً إن لما كان طالع داعية بقى بيتكلم مثلاً في تنمية بشرية بقى كوتش مش عارف إيه، هو نسي الخطاب الديني، من كتر ما انحرف عن الخطاب القرآني. لذلك لابد الإنسان يراجع خطابه ومدى حضور مركزيات الوحي في خطابه دي علامة القرب من الوحي.

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعلنا من أهل القرآن كما قال الله –سبحانه وتعالى– في ختام السورة، فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– ألا يشغلنا أبداً عن كتاب الله –سبحانه وتعالى–، وأن يستعملنا في فهم القرآن ونشر القرآن والعمل بالقرآن والمجاهدة بالقرآن، وأن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،